المجلد التاسع والعشرون للعام ٢٠٢٥م
حولية كلية اللغة العربية بجرجا

خطاب الجنون في كتاب عقلاء المجانين
بين الإقناع والإمتاع مقاربة سردية تداولية

The discourse of madness in the book "Sane Madmen" between persuasion and entertainment: an individual, interactive approach.

بقلم الدكتور

عبد اللّه ماطر المطيري

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها،
كلية الآداب بسكاكا، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية .

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار يونيه ٢٠٢٥م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٥/٦٩٤٠م

خطاب الجنون في كتاب عقلاء المجانين
بين الإقناع والإمتاع مقاربة سردية تداولية.

عبد الله ماطر المطيري

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب بسكاكا، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني : abuumar4147@gmail.com

الملخص

هذا البحث دراسةٌ عن خطاب الجنون، وعنوانه: " خطاب الجنون في كتاب عقلاء المجانين بين الإقناع والإمتاع مقاربة سردية تداولية "، ولهذا البحث أهميةٌ كبيرةٌ؛ إذْ إنَّه يلفت النظر إلى الدلالات الحجاجية الكامنة في خطاب الجنون من خلال كتاب عقلاء المجانين، وقد تناول ملمحًا بارزًا في أخبار هذا الكتاب، حيث جاء هذا الخطاب مرتبطًا بالمنحى الجمالي والإقناعي على حدٍّ سواء. ويهدفُ هذا البحث إلى كشف الأبعاد الدلالية الكامنة لخطاب الجنون لدى النيسابوري، وإبراز أهمِّ أشكال التوظيف لهذا الخطاب، وإبراز المقاصدِ التداولية التي يتضمَّنها هذا النوع من الأخبار.

وقد اعتمدت الدراسةُ في هذا البحث على المنهج السردي التداولي القائم على تقنيات سردية وحجاجية، وما تُؤدِّيه من دورٍ في تحديد وجهات النظر، وكشف ما ينطوي عليه الخطاب من مقاصدَ إقناعيةٍ. وقد جاء هذا البحث في: مقدمة وتمهيد، ومبحثين، يليهما بعد ذلك الخاتمة، وثبت بمصادر البحث ومراجعه.

-وكان من أبرز نتائج هذا البحث: ورود خطاب الجنون لدى النيسابوري بوصفه خطابًا مرادفًا للعقل والحكمة في كثيرٍ من الأحيان، كما أنَّه كشف عن تعدُّد المواقف الفكرية، واختلاف الرؤى الأيدلوجية في المجتمع الواحد، كما أنَّه جاء في هذه الأخبار وثيقَ الصلةِ بالإبداع، والإقناع.

الكلمات المفتاحية: أخبار عقلاء المجانين، دلالات الجنون، محمد النيسابوري، أدوات السرد.

The discourse of madness in the book "Sane Madmen" between persuasion and entertainment: an individual, interactive approach.

Abdullah Matar Al-Mutairi
Department of Arabic Language and Literature, College of Arts in Sakaka, Al-Jouf University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: abuumar4147@gmail.com

Abstract

This research is a study on the discourse of madness, and its title: 'The discourse of madness in the news of the crazy minds of Muhammad Al-Nisaburi between persuasion and enjoyment', and this research is of great importance, as it draws attention to the argumentative connotations inherent in the discourse of madness through the book of the crazy minds, and has dealt with a prominent feature in the news of this book, where this discourse was linked to the aesthetic and persuasive trend alike. This research aims to uncover the inherent semantic dimensions of al-Nisaburi's madness discourse, highlight the most important forms of employment of this discourse, and highlight the deliberative intentions contained in this type of news.

The study in this research relied on the deliberative narrative approach based on narrative and argumentative techniques, and the role they play in determining points of view, and revealing the persuasive intentions of the discourse. This research came in: an introduction, an introduction, and two sections, followed by the conclusion, and proved by the sources of the research and its references.

-One of the most prominent results of this research: the emergence of the discourse of madness of Al-Nisaburi as a discourse synonymous with reason and wisdom in many cases, as it revealed the multiplicity of intellectual positions, and the difference of ideological visions in the same society, and it came in this news closely related to creativity and persuasion.

Keywords: News of the wise people of the insane, the connotations of madness, Muhammad al-Nisaburi, narrative tools..

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومَن والاه. وبعد،،،،،،

فإنَّ هذا البحثَ يُعنَى بدراسةِ خطابِ الجنونِ لدى محمد النيسابوري بصفته مصطلحًا متعدِّدَ الدلالات؛ حيث تُسهمُ الأطرُ الثقافيةُ والاجتماعيةُ والفكريةُ في بلورته وتحديده. وقد عمد الباحثُ إلى المقاربة التداولية السردية، ورأى أنَّها المدخلُ الأنسبُ لهذا الجنس الأدبي؛ وذلك لكشف الخصائص البنائية للسرد من جهةٍ، ورصد الاستراتيجيات الإقناعية من جهةٍ أخرى.

أهمية البحث وقيمته:

تتمثَّلُ أهميةُ هذا البحثِ في أنَّه يلفتُ النظرَ إلى الدلالاتِ الحجاجيةِ الكامنةِ في خطابِ الجنونِ من خلال كتاب (عقلاء المجانين).

أهداف البحث:

- كشفُ الأبعادِ الدلاليةِ الكامنةِ لخطابِ الجنونِ لدى النيسابوري .
- إبرازُ أهمِّ أشكالِ التوظيفِ لهذا الخطابِ.
- إبرازُ المقاصدِ التداوليةِ التي يتضمَّنها هذا النوعُ من الأخبارِ.

الدراسات السابقة:

تُوجدُ بعضُ الدراساتِ التي تناولتْ ظاهرةَ الجنونِ بشكلٍ عامٍّ، وأهمُّ هذه الدراساتِ ما يلي:

١- دراسةٌ بعنوان: (خطاب الجنون حفريات في الثقافة العربية)، للدكتور/ مراد المتيوي، كنوز المعرفة، عمَّان، ط١، ٢٠١٩م.

٢- خطابُ الجنونِ، الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي (الاستبعاد والنفي)، أحمد آل مريع، العبيكان، السعودية، الرياض، ط١، ٢٠١٤.

وهاتان الدراستان السابقتان تتسمان بالعمومية من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى

تُمثِّلان مداخلَ مختلفةً عن المنهج الذي سأسلكه – إن شاء الله – في بحثي هذا، وهو المقاربة السردية التداولية، القائمة على توظيف معطيات اللغة وطاقاتها الحجاجية من خلال كتابٍ محدَّدٍ يُعدُّ من أشهر الكتب التي تناولت أخبارَ المجانين، وهو كتاب (أخبار المجانين) للنيسابوري؛ لكشفِ مميزاتِ خطابِ الجنونِ في هذا الكتاب.

منهج البحث وإجراءاته:

اعتمدتُ في دراستي لهذا البحث على المنهج السردي التداولي القائم على تقنياتٍ سرديةٍ وحجاجيةٍ، وما تُؤدِّيه من دورٍ في تحديد وجهات النظر، وكشف ما ينطوي عليه الخطابُ من مقاصدَ إقناعيةٍ.

خطة البحث:

رأى الباحثُ أن يقيمَ بحثَه من خلال: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وثبت للمصادر.

المقدمة: وفيها الحديثُ عن: أهمية الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، والمنهج المتبع، وخطة البحث.

التمهيد: وقد عرضتُ فيه:

– إشكاليات مصطلح الجنون وملابساته.

– خطاب الجنون بين كتب الأدب السابقة وكتاب (عقلاء المجانين)، وتطرَّقتُ فيه إلى أهمِّ الكتب الأدبية التي تناولتْ هذه الظاهرةَ، وأبرزتُ ما تميَّزَ به كتابُ (عقلاء المجانين) عن غيره.

– **المبحث الأول:** خطاب الجنون وأبعاده الدلالية في كتاب (عقلاء المجانين)، حيث تمثَّلت في ثلاثة أبعاد: ارتباط الجنون بالعشق، والحكمة والإصلاح، وكونه ساخرًا من الآخرين، ومحط سخريتهم.

– **المبحث الثاني:** التقنيات السردية والحجاجية في أخبار عقلاء المجانين، والتي تمثَّلت في ثلاث تقنيات: السرد، الحوار، الوصف.

الخاتمة: وفيها الحديثُ عن أهمِّ النتائجِ التي توصَّلتُ إليها في هذا البحث.

واللهَ –تعالى– أسأله التوفيق والسداد، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد:

المصطلح، إشكاليات وملابسات:

لا نستطيعُ التفكيرَ في الشيء إلَّا من خلال مقارنته بشيءٍ آخرَ يماثله أو يخالفه؛ لأنَّ كلَّ فكرةٍ في أصلها نسيجٌ من العلاقات المتداخلة. والفكرةُ تكونُ فارغةً عندما تتجرَّدُ من مجموع العلاقات، فوجودُ الأشياءِ مرتهنٌ بعلاقاتها، ولا يمكنُ لشيءٍ أن يُوجدَ أو يكونَ له معنًى إذا كان مجرَّدًا عن العلاقات والصلات(١). ومادام الجنونُ يُستخدمُ في الأدبيات العربية مقابلًا للعقل(٢)؛ فلا بُدَّ من التعريج قليلًا على العقل قبل التعرُّف على الجنون.

قال ابن فارس: " العين والقاف واللام أصلٌ واحدٌ مطردٌ يدلُّ على حبسة في الشيء، أو ما يقارب الحبسة، ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل"(٣). وفي التراث العربي المحفوظ إشاراتٌ تُؤكِّدُ هذه الدلالةَ اللغويةَ، فقد رُوي عن عامر بن عبد القيس قوله: " إذا عقلُك عَقَلَكَ عمَّا لا ينبغي فأنت عاقلٌ"(٤). فمُتصور العقل في ذهنية العربي يكاد ينحصر في: قدرته، وأثره، ومدى موافقته للعرف الأخلاقي والاجتماعي، باعتبار العقل ممارسة جماعية قائمة وواضحة للمستقر العام والمعتمد في العرف، فالعقل بصفته وصفًا يرتبط بما يجعل من الفرد منسجمًا وغير شاذٍّ مع كافة الأنساق القارّة والفاعلة: اجتماعيًّا ومعرفيًّا(٥). فهو بذلك

---

(١) ينظر: كتاب المنطق، هيجل، نقلًا عن: ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وآراء أعاظم الفلسفة في العالم، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، لبنان، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص ٢٣١.

(٢) ينظر: مقدمات وممارسات في النقد، عبد العزيز عرفة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط١، ١٩٩٣م، ص ٢١.

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط١، ١٩٧٩م، ٤/ ٦٩.

(٤) العقل وفضله، أبو بكر بن أبي الدنيا، تحقيق: لطفي محمد الصغير، ونجم عبد الرحمن خلف، دار الراية، السعودية، الرياض، ط١، ١٩٨٩م، ص ٤٩.

(٥) ينظر: خطاب الجنون الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي (الاستبعاد والنفي) ، أحمد آل مريع، العبيكان، السعودية، الرياض، ط١، ٢٠١٤م، ص ٥٩، ٨١، ٨٧.

مرتبط بالثابت والقار والمتداول والمعروف بين الناس، بخلاف الجنون، حيث تثير هذه اللفظة الكثير من التناقضات، فهو لفظ عام ومبهم جدًّا، كما يقول لالاند فهذه اللفظة تجمع بين الغموض والرهبة والخوف والسخرية والضحك والحكمة والاختلاف.(١) فهو "حكمٌ يُطلقُ في وجه كلِّ ما لا يستقيمُ داخل خُطاطة ثقافية، أو سياسية مسبقة"(٢). ويتسق هذا التعريف بشكلٍ كبيرٍ مع الأصل اللغوي الذي تدور حوله الكلمة، وهو الستر والتغطية وعدم الوضوح(٣). وبهذا التعريف ندركُ سرَّ العلاقة بينه وبين الشعر والكهانة من خلال حضور الغموض، كقاسمٍ مشتركٍ بين تلك المصطلحات وبمخالفته السائد الثقافي والاجتماعي من جهةٍ أخرى.

أمَّا علاقته بالإبداع، فتبرزُ عندما نطرحُ هذا التساؤل: هل الجنون يمكنُ إرجاعُه إلى خللٍ فكريٍّ لدى المتكلم، أم طفرةٍ في التفكير لديه لا يستطيعُ أن يستوعبَها المخاطبُ؟ وهل ثَمَّتَ علاقةٌ بين الخلل الفكري والطفرة في التفكير؟ وهل الخللُ الذي يراه المتلقِّي ويعتقده يراه المتكلمُ خللاً كذلك؟ بذلك يتبيَّنُ لنا: لماذا وُظِّف الجنونُ كثيرًا في سياق المدح أكثر من توظيفه في السياق المضاد له؟ ذلك أنَّه يمكنُ أن يُعدَّ وسيطًا بين الذات والمجتمع عندما يعكسُ تمثُّلاتِ الناسِ ورغباتهم، ويستوعبُ كافَّةَ التطلعات التي تغايرُ الواقعَ، ويُوَفِّرُ الملاذَ الآمنَ ضد سلطة المجتمع وقسوته.(٤)

---

(١) ينظر: خطاب الجنون، حفريات في الثقافة العربية، مراد المتيوي، كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ٢٠١٩م، ص١٤.

(٢) تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ميشيل فوكو، ت: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ذيل حواشيه اليازجي، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٤م، ٩٢/١٣.

(٤) ينظر: خطاب الجنون، مراد المتيوي، ص٩.

خطاب الجنون بين كتب الأدب السابقة وكتاب عقلاء المجانين:

لقد حملت بعضُ المصنَّفات الأدبية وجهاتِ نظرٍ متباينةً إزاء هذه الظاهرة، فنجد الجاحظَ يسردُ بعضَ أخبار المجانين على سبيل التسلية والترفيه، ويرى المسعودي أنَّ الجاحظ" كان إذا تخوَّف ملَلَ القارئ وسآمةَ السامع خرج من جدٍّ إلى هزل، ومن حكمةٍ بليغةٍ إلى نادرةٍ لطيفةٍ".(١) كما يرى أمجد الطرابلسي أنَّ طريقةَ الجاحظ في التأليف تحكمها الأسس التالية:

-تكريس سلطة الثقافة الموسوعية.

-الاستطراد المستمر.

-بروز الطابع التعليمي الذي يتمثَّلُ في رغبة المؤلف إحاطة القارئ بكل أنواع المعارف، فالقارئُ لا يدري وهو يقرأُ في إحدى الصفحات ماذا تذخره له الصفحةُ التاليةُ من مفاجآتٍ، كما أنَّ هذا التنوعَ في كتب الأدب جعلها صالحةً لكلِّ زمنٍ(٢).

إذن فقد أورد الجاحظ أخبار المجانين في سياق إمتاع القارئ وطرد السآمة عنه. وقد جعل ابنُ قتيبه أخبارَ المجانين في الكتاب الرابع الذي سمَّاه: كتاب الطبائع والأخلاق حيث يقول: " وفيه الأخبار عن تشابه الناس في الطبائع وذمهم عن مساوئ الأخلاق، من الحسد والغيبة والسعاية والكذب وسوء الخلق وسوء الجوار والسباب والحمق ونوادر الحمقى (...)، وما جاء في ذلك من النوادر وأبيات الشعر المشاكلة لتلك الأخبار " (٣)، والواضح من تقسيم ابن قتيبة طبيعة النظر الأخلاقية التي حكمت علاقته بأخبار الحمقى ونوادرهم، فهم في خانةٍ واحدةٍ مع سفلة القوم

---

(١) مروج الذهب، المسعودي، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ٣/ ٢٤٩.

(٢) ينظر: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، أمجد الطرابلسي، دار قرطبة، البيضاء، ط٥، ١٩٨٦م، ص ١٣٠، ١٣٣.

(٣) عيون الأخبار، ابن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٢٥م، ١/ مقدمة المؤلف.

وبخلائهم، وعلى هذا الأساس فحمقى ابن قتيبة ومجانينه عتبة نحو التهذيب والتقويم، من خلال إبراز ما حرموا منه من العقل وحسن الرأي.(١)

أمَّا ابن عبد ربه في العقد الفريد، فقد جعل من أخبار المجانين والحمقى مادةً للتأمل وإعمال الفكر؛ لأنَّها "حدائق مونقة، ورياض زاهرة، لما فيها من كلِّ طرفةٍ ونادرةٍ، وكأنَّها أنوارٌ مزخرفةٌ، أو حللٌ منشرةٌ، دانية القطوف من جاني ثمراتها، قريبه المسافة لمن طلبها، فإذا تأمَّلها الناظر، وأصغى إليها السامع، وجدها ملهِّى للسمع، ومرتعًا للنظر، وسكنًا للروح، ولقاحًا للعقل"(٢).

يكشف هذا النصُّ على أنَّ استحضار ابن عبد ربه لأخبار المجانين جاء مرتبطًا بأهداف تربوية، فالسمع يُداوي بواسطتها والنظر يستمتع بأشكالها. لقد رسم لنا ابنُ عبد ربه صورةً يختلطُ فيها الجدُّ بالهزل، والعقلُ باللاعقل، فمن خلال مقدمته تتبيَّنُ منهجيةُ ابن عبد ربه في التعامل مع هذه الظاهرة.

والملاحظ أنَّه يساوي بين الممرور والمجنون والموسوس والأحمق، فهم عنده وسيلةٌ فقط؛ لأنَّه يكتفي بإيراد الخبر دون الاهتمام بالأسانيد، أي: أن ما يهمه في الأصل هو طبيعة الخبر الذي لا يخلو من ميزة.(٣) ويتضحُ هذا من كلامه عن حِكم المجانين " فقد يأتي لهؤلاء كلامٌ نادرٌ محكمٌ لم يسمعْ بمثله "(٤) ونتبيَّنُ هذا الكلامَ المحكمَ من خلال عرض ابن عبد ربه لطرفٍ من أخبارهم، فجميع أخبارهم تتميَّز إمَّا بإحكامٍ أو فطنةٍ تُوجَّه ضد الأشراف أو الخلفاء، فالمجنون يتميَّز عن الأشخاص الآخرين بأنَّه أكثر شجاعة وجرأة؛ لقدرته على التخلص من المآزق، ورد الكلام إلى أصله حتى لو تلعق الأمر بالخليفة، من هنا يكتسب "مسرد العقد الفريد عن الجنون

(١) ينظر: خطاب الجنون، مراد المتيوي، ص ١٢٤.

(٢) العقد ، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١، ١٩٨٢م ٧/ ١٥٧.

(٣) ينظر: خطاب الجنون، مراد المتيوي، ص١٢٥.

(٤) العقد، ابن عبد ربه، ٧/ ١٨٠.

أهميةً كبيرةً –أيضًا– فهو يشتمل على أمورٍ واسعةٍ من أقوال وأخبار المجانين والممرورين التي تتسم بالتنوع وغنى مدلولاتها الاجتماعية والثقافية والتاريخية، وإذا كان المؤلف يرتهن في تعامله مع هذا المسرد كما في كتابه كله إلى هاجس الجمع والأخبار والتأليف، فإنَّ لمسرده أهميةً بالغةً من حيث حفظه لكثيرٍ من أقوال وأخبار المجانين المأخوذة عن مصادرَ متنوعةٍ وعديدةٍ"(١).

وعندما نصلُ إلى كتاب النيسابوري، نجده أولَ كتابٍ حاول أن يجمع ما دار حول هذا الموضوع في كتابٍ واحدٍ، فقد رصد مؤلفُه ما يتعلق بأخبار هذه الفئة بالذات، ولم يكتف بالجمع فقط، بل تجاوز ذلك إلى طريقة المعالجة " وكنت في حداثة سنِّي سمعت كتبًا في هذا الباب، مثل: كتاب الجاحظ، وكتاب ابن أبي الدنيا... وألَّفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب"(٢). فالمجنون لديه ليس للإمتاع واللهو، بل هو لكشف الحقائق، ولتعرية المجتمع، ولتصحيح الأفكار. فالمجنون لدى النيسابوري يحتلُّ مكاناتٍ متميزةً، حيث يمكن أن يُوضعَ في دائرة المبدع، والناقد الحكيم؛ ذلك أنَّ وصفَه للجنون نابعٌ من مخالفته للنسق السائد. حيث ذكر من ضمن تعريفات المجنون: أنَّه مَن يُخالفُ الناسَ في عاداتهم، فيجيء بما ينكرون(٣). فهو لم ينظر إليهم بشكلٍ هامشيٍّ، ولم يسقْ أحاديثهم مساق الهزل والترويح عن القارئ فقط، بل يمكن أن نتبيَّن دوافع المؤلف من وراء كتابته عنهم من خلال ما سرده عنهم من: أقوالٍ حكيمةٍ، وأفكارٍ عميقةٍ، تُسهمُ في تغذية الفكر، وتعديل السلوك. ومن هنا نتبيَّنُ دلالاتِ اختيار العنوان، حيث وسمه بـ"عقلاء المجانين".

---

(١) خطاب الجنون في الثقافة العربية، محمد حيَّان السمان، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط١، ١٩٩٣.

(٢) عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ١٥.

(٣) ينظر المصدر نفسه، ص ٨.

المبحث الأول: خطاب الجنون وأبعاده الدلالية في كتاب عقلاء المجانين

المجنون عاشقاً:

عندما تشتدُّ سطوةُ الحب على قلب العاشق يتجاوزُ الحبُّ بهذا المعنى دائرةَ العقلِ إلى دائرة الجنون، -ولا يعني الانتقال إلى دائرة الجنون الابتعاد عن دائرة الإبداع، بل ربما يعني ذلك الالتحام بها-، فبواسطة الجنون يُستباحُ العقلُ، وتُنتهكُ حرمتُه، فيبوح العاشق بكل شيءٍ من خلال طغيان لغة القلب على لغة العقل، فيعيش غربة المكان بعد اعتزاله الناس، كما في القصة التي رواها عبدالله السامري قال: " مررت بدير هزقل أنا وصديق لي، فقال : ادخل بنا لنرى من مُلح المجانين، فقلت ذلك إليك، فدخلنا وإذا بشاب مليح الوجه، حسن الزي، قد رجّل شعره، وكحل عينيه، طراوة يعلوه حلاوة، مشدودًا إلى سلسلة بجانب حائط، فلمَّا بصر بنا قال :مرحبًا بالوفد -قرَّب الله ما نأى منكما- بأبي أنتما. قلنا: وأنت فأمتع الله الخاصة والعامة بقربك، وآنس جماعة ذوي المروءة بشخصك، وجعلنا وسائر مَن يحبك فداءك. فقال: أحسن الله عن جميل القول جزاءكما، وتولَّى عنِّي مكافأتكما. قلنا: فما تصنع في هذا المكان الذي أنت لغيره أهل؟ فقال:

الله يعلم أنني كمد	**لا أستطيع أبث ما أجد**
نفسان لي نفس تضمنها	**بلد وأُخرى حازها بلد**
أما المقيمة ليس بنفعها	**صبر وليس يقرها جلد**
وأظن غائبتي كشاهدتي	**وكأنها تجد الذي أجد**

ثم التفت إلينا، فقال: هل أحسنت؟ قلنا له: نعم، ما قصرت، ووليتنا. فقال: بأبي أنتما ما أسرع ذهابكما بالله! أعيراني أفهامكما وأذهانكما. قلنا: هاتِ، فقال:

لما أناخوا قبيل الصبح عيرهم	**ورحلوها فسارت بالهوى الإبل**
وقلبت من خلال السجف ناظرها	**ترنوا إلي ودمع العين منهمل**
يا راحل العيس عرّج كي أودعهم	**يا راحل العيس في ترحالك الأجل**
إني على العهد لم أنقض مودتهم	**يا ليت شعري بطول العهد ما فعلوا**

فقلنا –مجونًا منا ولم نعلم بحقيقة ما وصف–: ماتوا. قال: أقسمت عليكم، ماتوا؟ ثم قال: إني والله ميت في أثرهم، ثم جذب نفسه في السلسلة جذبةً دلع منها لسانه، وبرزت عيناه، وانبعثت شفتاه بالدماء، فتلبط ساعةً، ثم مات. فلا ننسى ندامتنا على ما صنعنا به"(١)

لو تأمَّلنا القواسم المشتركة بين الجنون والإبداع لوجدناها تتمثَّلُ في: المصير المشترك، النهاية المفاجئة، الغربة، والحزن.

لقد تمثَّلت الغربة هنا في المكان، فخلو المكان من ضجيج الناس يُضفي عليه نقاءً مميزًا يرتفع به عن طبيعة المكان المادي الذي يعلن انفصاله عنه، بحيث يفقد المكان دلالاته، وتصبح جميع الموجودات مقابل طبيعي للحبيبة، ويصبح الحب حجة للابتعاد عن الحدود المنطقية والتقاليد والأعراف، ومبررًا لاعتزال الناس، ويكون الجنون هو البديل الذي يستدعيه العاشق.

إنَّ حضور الحب الجنوني ينفي حضور العقل، فكلما ارتفع صوت العقل حال صوت الجنون دون ذلك، فكسب ذلك الأخير مزيدًا من التعاطف والدعم تجاه قسوة المجتمع وسطوته، حتى يكون الموت هو المؤذن بنهاية العاشق، وطي صفحته. إنَّ الحب تدرج مستمر نحو الجنون لا يتوقف أبدًا؛ لأنَّ العاشقَ يعي أنَّ الجنون، أو التجانن هو الوسيلةُ الوحيدةُ التي تسعفه في التعبير عن مكنون الحب بداخله، من هنا يظهر جنون العاشق بشكلٍ جلي من خلال ذوبانه واستعداده للفناء في سبيل المحبوب.

وقد تتصل الغربة بالذات دون المكان فتكشف عن عميق الألم والحرمان، فيستسلم للبوح حتى وإن كان في ذلك حرمانه ما دام الحب أقوى وأكبر من أن يُستر، فيكون الحب/ الجنون وسيلة من وسائل الإبداع الشعري الفذ، "وبذلك يكون العاشق في تجربته الإبداعية مشدودًا إلى تجربته الذاتية والتي أسست ما يُسمى

(١) ينظر: عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص ٧٦.

بجنون الغربة"[١] كما في القصة التي رواها أبو الحسن العنسي المؤدب، حيث يقول : دخلت الموصل فبينا أنا ذات يوم في أزقتها إذا صياح وجلبة، وإذا هي دار المجانين، فدخلت إليها فإذا شاب حسن، فسلمت عليه فرد، وقال: من أين جئت؟ فأخبرته، قال: وأين تريد؟ قلت: العراق، قال لي: أتعرف بني فلان؟ وأشار إلى بيت، قلت: نعم. قال: لا صنع الله لهم؛ فهم الذين أدهشوني، وأحلوني هنا .قلت :وما فعلوا؟ قال:

زمّوا المطايا واستقلوا ضحى ولم يبالوا قلب من تيمّوا

ما ضرّهم والله يرعاهم لو ودّعوا بالطرف أو سلّموا"[٢]

لقد تولد عن العذاب الجسدي عذوبة شعرية، وذلك من خلال ما يجري على لسان المجنون من أبيات منتقاة، مفعمة بالعاطفة، مطرزة بالجمال.

وكل ما سبق يكشف عن عظيم النتائج المترتبة على الحب، وما يتولد عن ذلك من إبداع، وما له من خطر داهم على عقل العاشق وحياته.

المجنون مصلحاً وحكيماً:

من الملاحظ أنَّ توجيهات المصلح / المجنون، تطال العامة كما تطال الخاصة؛ وذلك بغية التقويم "؛ لذلك لا يُمكنُ أن نفصلَ وبشكلٍ نهائيٍّ بين خطاب الجنون، وسلطة هذا الخطاب، والسلطة المناهضة له"[٣]؛ للتعبير عن المسكوت عنه، ومن هنا اكتسى الخطاب طابعًا نقديًّا يؤسس خطابًا مضادًا للخطاب السائد. وتظهر ملامح هذا النقد من خلال مناهضة القمع والاستغلال التي تعاني منها الفئات الشعبية، الأمر الذي دفع إلى احتضان المجنون وتبني أفكاره؛ للتعبير عن كل ما لا يمكن البوح به؛ ولهذا " فإنَّ صوت الجنون في التراث العربي والإسلامي يشكِّل

(١) خطاب الجنون، مراد المتيوي، ص ١٥٢.

(٢) ينظر: عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص١٣٥.

(٣) مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، المطبعة الأميرية، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٣٣.

جانبًا هامًّا في ثقافة المضطهدين، ويشكل جوانبَ من الحكمة الشعبية التي قُمعت؛ فلجأت إلى الجنون، وانتسبت إليه، فظهر المجنون في المسارد، كما في الوعي الشعبي حكيمًا شعبيًا ينطق بتطلعات الناس وآلامهم"(١)، وقد بدا ذلك من خلال وعظ الأعيان بشكل صريح لا مواربة فيه، كما في قصة بهلول مع الرشيد، فقد رُوي أنَّ الرشيد خرج إلى الحج، فلمَّا كان بظاهر الكوفة بصر بهلولًا المجنون على قصبة وخلفه الصبيان، وهو يعدو، فقال: مَن هذا؟ قالوا: بهلول المجنون، قال: كنت أشتهي أن أراه فأدعوه من غير ترويع، فقالوا: له أجب أمير المؤمنين، فغدا على قصبته، فقال الرشيد: السلام عليك يا بهلول، فقال: وعليك السلام يا أمير المؤمنين، قال: كنت إليك بالأشواق، ثم قال: عظني يا بهلول، قال: وبم أعظك؟ هذه قصورهم وهذه قبورهم، قال: زدني؛ فقد أحسنت، قال: يا أمير المؤمنين، مَن رزقه اللهُ مالًا وجمالًا فعفَّ في جماله وواسى في ماله كُتب في ديوان الأبرار...(٢) .

فالمجنون يعتمد على حريته وتسامح الناس معه؛ لتمرير ما يريده من الوعظ دون أن يمسه مكروهٌ بلغةٍ فصيحةٍ مؤثرةٍ.

" إنَّ التشابهَ كبيرٌ بين أشكال العقل وأشكال الجنون، إنَّه تشابهٌ مقلقٌ –أيضًا– فكيف يمكن التمييز بين فعلٍ بالغ الحكمة قام به مجنونٌ وبين أبشع أشكال الجنون الصادرة عن رجلٍ يُنظرُ إليه عادةً على أنَّه حكيمٌ وسويٌّ؟!"(٣).

إنَّ وعظَ المجنون يحملُ التعبير عن خوفه على الناس ورغبته في إرشادهم، لا فرقَ عنده بين عظيمٍ ووضيعٍ. وقد اتسم خطاب المجنون بالإيجاز مع استيفاء المعنى المُراد إيصاله للمتلقي؛ ليكون ذلك أوقعَ في قلبه. كل هذه الخصائص بمثابة الحجج التي يقيمها المجنون على المتلقي.

---

(١) خطاب الجنون في الثقافة العربية، محمد حيَّان السَّمان، ص١٣.

(٢) ينظر: عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص٦٧.

(٣) تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ميشيل فوكو، ص ٥٦.

المجنون ساخراً من الآخرين ومحط سخريتهم:

تبرز ملامح السخرية من المجنون من خلال عبث الصبيان بـــه، فالصـــبي يشترك مع المجنون في غياب التكليف، وتسامح المجتمع، ومن خلال تصـــادمهما تنشأ مواقف غريبة تولد لدى المتلقي دهشةً ناتجةً عن أقوال المجنون وأفعاله، هـــذه الأقوال قد تكون أُوردت بشكلٍ متعمدٍ على لسان المجنون؛ لتوثيـــق الصـــلة بـــين الإبداع والجنون، " فهناك قاعدةٌ معياريةٌ تقولُ: إنَّه من المفترض أن يكونَ الكتَّـــابُ مجانين، أمَّا المجانينُ، فيعانون من هوس الكتابة" (١).

ومن الشواهد على ذلك ما نُقل عن السُّري أنَّه قال: أدركت بالكوفة مجنونـــا يأوي إلى دُكان طحان، وفي يده قصبة قد جعل في رأسها كُرَة ولف عليها خرقـــة؛ لئلا يؤذي بها الناس، وكان الصبيان قد علموا وقت مسيره إلى الدكان فيجتمعـــون ويعبثون به، فإذا بلغت أذيتهم منه قال للطحان: قد حمي الوطيس، وطاب اللقاء وأنا على بصيرةٍ من أمري فما ترى؟ فيقول: شأنك، فيثب، ويقول:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ونكّب عن ذكر العواقب جانباً

ثم يشد مئزره، ويقول:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

ثم يتناول العصا، ويقول:

أشد على الكتيبة لا أبالي أحتفي كان فيهم أم سواها

فإذا أدرك منهم صبيًّا رمى بنفسه إلى الأرض، وأبدي له عورتـــه، فيتركـــه وينصرف، ويقول: عورت المؤمن حِمى، ولولا ذلك تلفت نفس عمرو بن العـــاص يوم صفين، ثم يقول:

أنا الرجل الضَرب الذي تعرفونني خشاش كرأس الحية المتوقد

---

(١) موجز تاريخ الجنون، روي بورتر، ت: ناصر مصطفى، هيئة أبو ظبي، للثقافة والتـــراث، ط١، ٢٠١٢م، ص ٨٢.

ثم يرجع إلى دكان الطحان، ويلقي العصا من يده، ويقول:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينًا بالإياب المسافر"(١)

لقد مثَّلت الأشعار والأقوال المأثورة مكونًا مهمًّا من مكونات الخبر، ويظهر ذلك من خلال حرص الراوي على ترصيع خبره بالأشعار والأمثال، من قبيل: "حمي الوطيس"، فدور الراوي أصبح مقتصرًا على إيجاد المناسبة الرابطة بين المقاطع، وإن كان ذلك على حساب حبكة القصة؛ ليصلَ إلى أنَّ الجنونَ جزءٌ من الإبداع.

(١) ينظر: عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ص ٧٦.

المبحث الثاني: أساليب القص في كتاب عقلاء المجانين

السرد:

تُطلق عبارةُ السرد على: "عملية اضطلاع السارد بنقل الأعمال، كما تُطلق على نتاج العملية التي بها تنتقل الأعمال من عالم القصة الأصلي المتخيل إلى عالم النص الأدبي"(١)، كما يمكن أن نقول: إنَّ السردَ يُعرَّفُ نقديًّا بأنَّه: "كناية عن مجموع الكلام الذي يُؤلِّف نصًّا يتيح للكاتب أن يتصل بالقارئ"(٢). وتكمن أهمية أسلوب الخطاب السردي في أنَّه بدايةُ أسلوبٍ تتأسَّسُ عليه القصةُ، فهو عصبها ومادتها المشكِّل لهُوِيَّتها، كما أنَّه أقربُ الأصوات للمؤلِّف الصانع للقصة، ففي منعرجاته ونتوءاته نتبيَّنُ مقصدية المؤلِّف ومواضع اهتمامه، وطريقته في التأثير في القارئ(٣)، إنَّ المؤلِّف من خلال أسلوبه السرديّ يبدو واضحًا وصريحًا في توجيه القارئ إلى الوجهة التي يريدها؛ بعكس الأساليب الأخرى، فعباءة السرد ليست إلَّا رداءً رقيقًا غير حائلٍ لذات المؤلِّف وصوته(٤).

ويمكن أن نعدَّ الزمنَ مظهرًا بارزًا من مظاهر السرد. فلا يمكن أن نأخذ بعين الاعتبار المؤلِّف ومتلقِّيه إلَّا ضمن هذه الزمنية؛ فبها تُدرك الأقوال والأفعال، ولقد ميَّز أرسطو على هذا الأساس بين الفعل في حد ذاته، وكيفية تنظيمه في حبكة"(٥).

---

(١) حدود السرد: جيرار جينيت، ترجمة: بنعيسى بو حمالة، ضمن كتاب طرائف تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، سلسلة ملفات، الرباط، ط١، ١٩٩٢م، ص٧٥.

(٢) دليل الدراسات الأسلوبية: جوزيف ميشال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م، ص١٦.

(٣) ينظر: الحجاج في قصص الأمثال القديمة، عادل الغامدي، كنوز المعرفة، عمَّان، ط١، ٢٠١٥م، ص٢٢٨.

(٤) ينظر: المرجع ننفسه ص٢٢٨.

(٥) الخطاب القصصي في مصارع العشاق، للسراج البغدادي، تحقيق: أصيل الشابي، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط١، ٢٠٢١م، ص ١٠٨.

وإذا أردنا تحديد الخط الزمني لهذا النوع من الأخبار وجدنا الغالب عليه تعاقب الأحداث في زمن تصاعدي، فكل حلقة من حلقات الزمن تفضي إلى ما بعدها، وذلك هو النمط السائد في القص العربي القديم. ومن الشواهد على ذلك قصة بهلول التي تجسد موقفه مع من اتُهم بشتم أبي بكر وعمر، " قال صباح الوزان الكوفي: لقيت بهلولًا يومًا، فقال لي: أنت الذي يزعم أهل الكوفة أنَّك تشتم أبا بكر وعمر؟ فقلت: معاذ الله! أن أكون من الجاهلين، قال: إياك يا صباح؛ فإنهما جبلا الإسلام وكهفاه، ومصباحا الجنة، وحبيبا محمد صلى الله عليه وسلم وضجيعاه، وشيخا المهاجرين وسيداهم، ثم قال: جعلنا الله من الذين على الأرائك يسمعون كلام الله إذا وفد القوم إلى سيدهم" (١).

نجد المؤلِّف عمد في هذا الخبر إلى الاختزال والإضمار؛ لتسريع القص وتكثيفه، ولتقرير الفكرة التي يريد إيصالها للمتلقِّي، وهي إبراز مكانة أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما– ، فالراوي صدى لصوت المؤلف، حيث إنَّ المؤلف هو مَن يملك اختزال الأقوال واختيارها، وذلك مرتبط بمقاصد المؤلف والميولات المذهبية لديه. ونجد كذلك أنَّ الأوصاف التي جاءت مصاحبة لأبي بكر وعمر – رضي الله عنهما– " جبلا الإسلام، وكهفاه..." قد اضطلعت ببعد حجاجي واضح، وهو: هدم جميع الأفكار والأيدلوجيات التي تنتقص من أبي بكر وعمر –رضي الله عنهما– ذلك أن تلك الأوصاف لا تنطبق على مَن أقام عمود الدين، ونافح عنه.

وقد تكون الغاية من اختزال البنية الخبرية هو تمرير حكمة بليغة، أو موعظة حسنة، فلا شكَّ أنَّ الحكمة لها وقعها الخاص على قلوب مستمعيها، وتكون أشدَّ وقعًا وإدهاشًا عندما تجري على ألسنة مَن لا يُتوقعُ جريانُ الحكمة على ألسنتهم، كما في هذا المثال:" قال الحسن الكوفي: قال رجل لعليان: أجننت؟ قال: أمَّا عن الغفلة، فنعم، وأمَّا عن المعرفة، فلا، قال: كيف حالك مع المولى؟ قال: ما جفوته مذ

(١) عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص٦٩.

عرفته، قال: ومذ كم عرفته؟ قال: مذ جعل اسمي في المجانين "[١]، وهذا المستوى يمثل مرحلةً من التفكير ناضجةً. إنَّ فعالية هذه الصياغة الخبرية" تكمن في كونه يضاعف الوهم المرجعي عند المخاطب؛ فبساطة الراوية وخطية زمنها يهيئان المستمع لقبول اتصالها بمرجعها"[٢].

ومن مكونات الخطاب الخبري ما يُسمَّى بوجهة النظر، أو الرؤية السردية. وتنقسم القصة وفق وجهة النظر إلى ثلاثة أضرب: الضرب الأول: وهو القصة غير المبأرة، ويتجلَّى هذا الضرب في إيراد الراوي المؤلِّف معلوماتٍ تتجاوزُ طاقة إدراك الشخصية المشاركة، والضرب الثاني: القصة المبأرة تبئيرًا داخليًّا، وهو أنَّ الراوي المؤلِّف لا يقول إلَّا ما تعلمه الشخصيات، أمَّا الضرب الثالث، فهو القصة المبأرة تبئيرًا خارجيًّا، وفي هذا الضرب تكون معرفةُ الراوي المؤلِّف أقلَّ من معرفة الشخصية[٣].

ويغلب على الخطاب السردي هنا عدم التبئير، أو ما يُطلقُ عليه الراوي العليم، فالراوي يعلم أكثر مما تعرفه الشخصية، حيث يستطيع الوصول إلى مشاعر الشخصيات، وما يدور في خلدها من أفكار. ومن أمثلة ذلك: وصف لي مجنون بمصر ذو بديهة، فطلبته"[٤]. "كان بالبصرة مجنون يأوي إلى دُكان خياط، وفي يده قصبة قد جعل في رأسها كُرَة، ولفَّ عليها خرقة؛ لئلا يؤذي بها الناس"[٥]. "دخلت دار المجانين بنيسابور، فإذا شاب حسن من أبناء ذوي النعم"، نجد الراوي يلج إلى بواطن الشخصيات، ففي هذه الأخبار: "ذو بديهة"، "لئلا يؤذي بها الناس"، "من ذوي

(١) عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري ، ص ٧٥.

(٢) الحجاج في قصص الأمثال القديمة، عادل الغامدي، ص ٢٣٤.

(٣) ينظر: معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠١٠م، ص ٦٥، ٦٦.

(٤) عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص١٤١.

(٥) المصدر نفسه، ص٧٦.

النعم"، ونحن في الحقيقة أمام وجهة نظر المؤلِّف الذي تسلَّل إلى وعي الشخصيات، وما يعتمل فيها من مشاعر وأفكار.

وقد يعمد الراوي المؤلِّف إلى إثارة المتلقِّي من خلال عرض مشاهداته، كما في هذا الخبر "قال عمرو العسكري: رأيت فليتًا يومًا والصبيان يرمونه بالحجارة..."(١).

ففي الخبر المذكور قرينةٌ تدلُّ على رؤية المؤلِّف الشاملة من خلال الفعل الإدراكي "رأيت" يعرض من خلالها المؤلِّف معارفَ لا يمكن الحصول عليها إلَّا بالمشاهدة والمعاينة؛ إيهامًا للمتلقِّي بواقعية هذه الأحداث.

وقد يعمد المؤلِّف إلى إطالة السرد أحيانًا؛ لخدمة مذاهبَ دينيةٍ وفكريةٍ، وذلك من خلال الأخبار التي يوردها المؤلِّف في بلاط بعض الخلفاء، وقد أشار النيسابوري إلى طرفٍ من أخبارهم، ولا يُستبعد أن يكون الكلام قد وُضع على ألسنتهم؛ لتحقيق غاياتٍ دينيةٍ وسياسيةٍ. ومن ذلك ما رُوي أنَّ المتوكل كتب إلى عامله بالبصرة: إنَّ قِبَلك رجلًا أديبًا ظريفًا ذا حكمةٍ، فوجِّهْ به إلي على أحسن صفةٍ غير مروعٍ. فحمله إليه، فلمَّا ورد الباب قال له الحاجب: سلِّمْ على الخليفة سلامك على الخلفاء، فدخل، ثم سلم عليه، فلمَّا وقف بين يديه قال: بلغني أنَّك قدري تقايس في العظمة، وتداخل في التكوين، فقال: يا متوكل، مَن له عقل موجود، وفهم غير مفقود لا يتكلَّم في القدر، قال: فنظر إليه مغضبًا، وأمر به إلى السجن.فلمَّا كان من الغد أخرجه، فوقف بين يديه، وقال: يا سعدون، إنَّك تقول: السماء خالية بلا مدبر. فقال له: يا متوكل، أسألك عن شيءٍ تخبرني به؟ قال: نعم، قال: مَن جعل سطح الهامة منبت الشعر وسقاها من حرارة الدماغ؟ قال: الله، قال: أخبرني مَن مدَّ حاجبيك، فأنبت عليهما الشعر؟ قال: الله –تعالى–، قال: فأخبرني مَن فتق العينين، وجعل للحدقة بياضًا، وجعل وسطها سوادًا؟ قال: الله، قال: فمَن جعل فيهما ماءً

(١) عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري ، ص ٨٢.

عذبًا ومالحًا؟ قال: الله، قال: فأخبرني مَن خرق السمعين فجعل فيهما سماعًا؟ قال: الله، قال: فمَن ألزم القدم من الساقين، فجعلهما اسطوانة للركبتين؟ قال: الله، قال: فمَن شدَّ الحقوين بالوركين؟ قال: الله، قال: فمَن عرَّفك أن تقولَ: الله؟ قال: الله، قال: فكيف أقول: السماء بلا إله؟! قال المتوكل: بلغني أنَّك تقول: القرآن مخلوق، قال: يا أيها القائل بالله، عرفت الله، لاتكن مبتدعًا، لا شيء أحلى من كلام الله، أيكون مخلوقًا كلام الله؟!...[١].

يكتسب المجنون سلطة النصيحة من خلال التنازل عن أبهة الحياة؛ لذلك نجد أثر نصائحهم في قلوب الناس بكافة مستوياتهم بالغة الأثر، وإن اتسمت بالقسوة والقوة، فهي تصدر عن إحساس المجنون وحاجته إلى إسداء النصح. وإذا كانت الرغبة في الله قد دفعتهم إلى الجنون، فإنهم من خلال مواعظهم قد زرعوا هذه الرغبة في قلوب الناس؛ لذلك فقد جاء وعظهم متسمًا بالمواجهة، وبتسمية الأشياء بمسمياتها من خلال ذكر الشخص بعينه؛ لإبراز قيامه بما افترضه الله عليه، أو تخاذله عن ذلك، ويتضح ذلك من خلال تقييم أعمالهم بميزان الشرع، "من هنا يصبح الجنون ردة فعل إزاء كل ما هو متعال ونخبوي، وهنا تبدأ سلطته وفعاليته القصوى؛ لأنَّه يؤسِّسُ لشكلٍ من أشكال الرد الثقافي من خلال الإخلال بالأنساق الرمزية الثابته"[٢]. وما ورد على لسان المجنون لا يعني على الإطلاق ثبوت نسبة هذا الكلام له، بقدر ما هو تجسيد لحالةٍ فكريةٍ وثقافيةٍ في فترةٍ زمنيةٍ محددةٍ.

-الحوار:

يُعدُّ الحوارُ أسلوبًا من أساليب القص المهمة، " وهو جملة من الكلمات تتبادلها الشخصيات، ويكون ذلك بأسلوبٍ مباشرٍ، خلافًا لمقاطع التحليل أو السرد أو الوصف"[٣]. وللحوار دورٌ مهمٌّ في إنتاج المعرفة، ومداواة نشاط القارئ، وإثبات

(١) ينظر: عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص٦٥.

(٢) خطاب الجنون، مراد المتيوي، ص ٢٠٥.

(٣) طرائق تحليل القصة، الصادق قسومة، دار الجنوب، تونس، ط٢، ٢٠١٥م، ٢/ ١٢٨.

الإيهام بواقعية الحدث، واكتشاف أشياءَ جديدةٍ بين الأشياء والكون(١). ومن أشهر أنواع الحوار المعتمدة في هذه الأخبار: الحوار التناوبي، وهو الحوار الخالص بين الشخصيات الذي لا يكاد يتدخل فيه الراوي بصوته. ومن أهم المظاهر الحجاجية لهذا النوع من الحوار: إبراز السجال بين الشخصيات، وإظهار طرائق تفكيرها، وكيفية توظيفها للأساليب الحجاجية التي تهدف إلى الإقناع أو الإفحام(٢).

كما في هذه القصة التي رواها الأصمعي يقول: "أُخبرت أنَّ الحجاج بن يوسف لما فرغ من أمر عبد الله بن الزبير، قدم إلى المدينة فلقي شخصًا خارجًا من أهل المدينة، فلمَّا رآه الحجاج قال له: يا شيخ، من أهل المدينة أنت؟ قال: نعم، قال الحجاج: من أيهم؟ قال: من بني فزارة، قال: كيف حال أهل المدينة؟ قال: شر حال! قال: ومم؟ قال: لما لحقهم من البلاء بقتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الحجاج: ومَن قتله؟ قال: قتله الفاجر اللعين الحجاج بن يوسف عليه لعائن الله، وصلبه من قلة المراقبة لله، فقال الحجاج، وقد استشاط غضبًا: وإنك يا شيخ، ممن أحزنه ذلك وأسخطه؟ قال الشيخ: إي والله، أسخطني ذلك، سخط الله على الحجاج وأخزاه! قال الحجاج: أو تعرف الحجاج إن رأيته؟ فقال: إي والله، إني به لعارف، فلا عرَّفه الله خيرًا، ولا وقاه شرًّا، فكشف الحجاج عن لثامه، وقال: لتعلم أيها الشيخ يسيل دمك الساعة، فلمَّا أيقن بالهلاك تحامق، وقال: هذا والله العجب، أما والله يا حجاج، لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة، أنا العباس بن أبي ثور المصروع أُصرع في كل شهر خمس مرات، وهذا أول جنوني، فقال الحجاج: انطلق فلا شفاك الله، ولا عافاك"(٣).

---

(١) ينظر: الحوار واستراتيجياته في السرد العربي المعاصر، لطفي زكري، رواية التسعينات بتونس، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط١، ٢٠١٩م، ص ٤٨، ٥٤.

(٢) ينظر: المرجعي والتخييلي في الكتابة التاريخية حتى مطلع القرن الخامس الهجري " مقاربة سردية تداولية" ، قالط حجي العنزي، كنوز المعرفة، عمَّان، ط١، ٢٠٢٣م، ص ٣٣١.

(٣) ينظر: عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص٦٥.

لقد جاء هذا الحوار خاليًا من تدخلات الراوي؛ وذلك لإسباغ مظاهر الأمانة عليه، والإنصاف في النقل. وقد كشف هذا الحوار من خلال البنية الاستفهامية عن المضمرات التي يتضمنها الخطاب، فالمجنون سريع البديهة، ويتمثل ذلك من خلال أجوبته. وقد جاء هذا الخبر خارقًا لقاعدة العلاقة والتي تتمثل في ضرورة التناسب بين المقام والمقال، وخرق هذه القاعدة باعث على الضحك والسخرية "، وتُعدُّ هذه القاعدة من أكثر القواعد التي يخرقها الهزل في أساليبه وأشكاله المختلفة، وذلك عندما يحصل تنافرٌ أو عدمُ تلاؤمٍ في موضوع الحديث، وخرق هذه القاعدة يسهم في ظهور دلالةٍ جديدةٍ غير متوقعةٍ يستلزمها الحوار، أو يوحي بها، وهذا ما اصطلح عليه جرايس فيما سبق بالاستلزام الحواري"(١).

فالموقف يستدعي الغضب، ولكن يقع ما يُذهبُ هذا الغضبَ، ويُخفِّفُ من حدِّة هذا الانفعال، وقد برز ذلك من خلال الحوار الذي دار بين الحجاج والمجنون، حيث ظهرت براعة المجنون في كسر حِدَّة غضب الحجاج؛ حيث أخرج نفسه من دائرة العقل إلى دائرة الجنون، وقد استلزم ذلك أنَّ هذا الشخص لا يعي ما يقول، فالنتيجة إذن: لا يمكن محاسبة إنسان لا يعي حقيقة أقواله. فبذلك استطاع المجنون توجيه دفة الحوار بما يخدم موقفه.

وقد يكشف الحوار عن أهمية الأقوال ونفاستها؛ بما تحمله من أدبٍ رائقٍ، أو حكمةٍ بليغةٍ، كما في الحوار الدائر بين ابن إدريس وابن أبي مالك المجنون، حيث سأله ابن إدريس: أي بيتٍ تقوله العرب أشعر؟ قال: البيت الذي لا يُحجبُ عن القلب، قلت: مثل ماذا؟ قال: مثل قول جميل:

ألا أيُّها النُّوام ويحكم هبُّوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحبُّ

قلت: ما تقول في النبيذ حلال أم حرام؟ قال: حلال، قلت: أتشربه؟ قال: إن شربته، فقد شربه وكيع، وهو قدوة، قلت: أتقتدي بوكيع في تحليله، ولا تقتدي بي

(١) الضحك في الأدب الأندلسي، أحمد الشايب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ٢٠١١م، ص ١٢٢.

في تحريمه، وأنا أسن منه؟ قال: إنَّ قولَ وكيعٍ مع اتفاق أهل البلد عليه أحبُّ إليَّ من قولك مع اختلاف أهل البلد عليك"(١).

لقد مثَّل الحوارُ الدائرُ في هذا الخبر وسيطًا لتمرير الأشعار المنتقاة، والحكم البليغة على لسان المجنون، وكشف عن المواقف الفكرية التي يتبنَّاها كلا المتحاورين. فعندما ينقل الراوي أقوال الشخصيات فإنَّه يستدعي معها ادِّعاء الأمانة التي تضفي على هذه الأقوال قوةً إقناعيةً؛ إذ يستخدم الراوي قول الشخصية في حملنا على الحكم عليها، فالقولُ البليغُ دليلٌ على أنَّ قائله بليغ(٢). ويتضمن أسلوبُ الحوارِ في هذا الخبر كذلك الاستناد على بُعدٍ حجاجيٍّ مهمٍّ يكشف الوعي المعرفي لدى الشخصية، ويتمثَّلُ هذا البعدُ في استناد ابن أبي مالك على حجة الإجماع، ورأي الأكثرية في تفنيد رأي ابن إدريس: " إنَّ قولَ وكيعٍ مع اتفاق أهل البلد عليه أحبُّ إليَّ من قولك مع اختلاف أهل البلد عليك". فقد عدَّ برلمان موضع الكم منطلقًا حجاجيًّا؛ لإثبات أنَّ هناك شيئًا أفضل من شيءٍ؛ لأسبابٍ كميةٍ(٣).

الوصف:

الوصفُ أسلوبٌ من أساليب القص يرتكز على نشاطٍ فنِّيٍّ يمثِّلُ باللغة الأشياء، والأشخاص، والأمكنة، وغيرها(٤). وتكمن أهميته بما يُؤدِّيه من وظائفَ إخباريةٍ، ومعرفيةٍ، وتوجيهيةٍ، فمن مظاهر الوصف القائمة على توجيه المخاطب إلى وجهةٍ معينةٍ، ما يظهر في سرد بعض الأوصاف الحسية؛ لإبراز قبح ما يوازيها من الأوصاف المعنوية، وذلك ما نجده في هذا الخبر: " قال علي بن ظبيان كان نمير من نساك أهل الكوفة، وكان قد سمع سماعًا حسنًا. وكان مواظبًا على العبادات،

---

(١) ينظر: عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص٨٨.

(٢) الحجاج في قصص الأمثال القديمة، عادل الغامدي، ص ٢٦٧.

(٣) في نظرية الحجاج، عبد الله صولة، دار مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط١، ٢٠١١م، ص ٢٦.

(٤) ينظر: معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، ص ٤٧٢.

فعرض له، فذهب عقله، وكان لا يأوي إلى سقف بيتٍ. فإذا كان النهار فهو في جبانة القبور، وإذا كان الليل فهو في وسط السطح قائمًا على رجليه في البرد والمطر والرياح، وكنا في بعض ما هو فيه من البرد والمطر والرياح، فنزل بكرة ذات يوم يريد المقابر، فقلت يا نمير، تنام؟ قال: لا، قلت: وما العِلَّة التي منعتك من النوم؟ قال: هذا البلاء الذي تراه بي، قلت له: يا نمير، ما تخاف الله! تقول البلاء؟ قال: أليس قد جاء في الخبر أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؟..."(١).

لقد استخدم الراوي الوصف الحسن؛ لإبراز ما ينبغي أن يكون عليه صاحب ذلك الوصف، وأنَّ الأوصافَ الحسنةَ، والقيمَ الخلقيةَ الجميلةَ لا تتغيَّرُ بتغير الظروف، والأحوال.

وقد يعمد الراوي إلى انتقاء أوصاف الشخصية؛ لغرض قيمي، يهدف من ورائه إلى توجيه المتلقِّي توجيهًا إيجابيًّا، كما في هذا الخبر: "ومن عقلاء المجانين قدَّس اللهُ سرَّه، وهو أول مَن نُسب إلى الجنون في الإسلام، والمعروف من حديثه ما وجدتُه في كتاب جدي سعيد بن المسيب –رحمه الله ورضي عنه– قال: نادى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– وهو على المنبر بمنى: يا أهل قرن، فقام مشايخ، فقالوا: ها نحن يا أمير المؤمنين، فقال –رضي الله عنه– أفي قرن مَن اسمه أويس؟ فقال شيخ: يا أمير المؤمنين، ليس فينا مَن اسمه أويس إلَّا مجنون يسكن القفار والرمال لا يألَفُ ولا يُؤلَفُ"(٢).

إنَّ هذا الوصفَ القائمَ على تقييم سلوك الشخصية – ومن عقلاء المجانين قدَّس الله سرَّه– بمثابة الحجة؛ لتبرير أقوال الشخصية وأفعالها، وأخذها مأخذ الجد، فالعاقل لا يأتي كلامه إلَّا على غاية من الاتزان.

---

(١) عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، ص٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٤٤.

وقد يأتي الوصفُ في أول الخبر؛ لبناء معنًى محدَّدٍ في ذهن المتلقِّي،كما في القصة التي رواها نعيم الخشاب، حيث يقول: "كان سلمة الموصلي أديبًا ظريفًا، فماتت له زوجةٌ؛ فخولط... (١).

إنَّ الهدفَ من الوصف في بداية الخبر محاولةُ رسم أفق انتظارٍ لدى المتلقِّي؛ حيث جاء هذا الوصفُ منسجمًا مع مجريات الخبر، فالأديبُ مرهفُ الإحساس، لا سيما إذا عاش تجربةً حقيقيةً للحب، حيث من المتوقع أن تُؤدِّيَ ملامسةُ هذه التجربة لمشاعر الأديب المرهفة إلى اختلالٍ في التفكير، واضطرابٍ في المشاعر.

(١) عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري ، ص٩٩.

الخاتمة

الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ، وبجوده تكملُ الغاياتُ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا محمد أفصحِ العرب لسانًا، وأصدقِهم بيانًا وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ،،،،،،

فقد خلص هذا البحثُ إلى عددٍ من النتائج، أهمها:

-ورود خطاب الجنون لدى النيسابوري بوصفه خطابًا مرادفًا للعقل والحكمة في كثيرٍ من الأحيان.

-كشف هذا الخطابُ عن تعدُّد المواقف الفكرية، واختلاف الرؤى الأيدلوجية في المجتمع الواحد.

-برز هذا الخطابُ بوصفه نافذةً للتعبير عن آراء الفئات المهمشة، ومواقفهم الفكرية.

-جاء خطابُ النيسابوري في هذه الأخبار وثيقَ الصلةِ بالإبداع، والإقناع.

-غزارةُ الشواهدِ الشعريةِ؛ حيث أدَّت دورًا مهمًّا في تعزيز الأفكار، والدِّقَّة في تصوير الواقع.

-تميَّزت صياغةُ هذه الأخبارِ بالبساطة والاختزال؛ لتمرير ما يُريدُ المؤلِّفُ تمريرَه من أفكارٍ بشكلٍ مكثَّفٍ.

كانت هذه هي أهمَّ النتائجِ التي توصَّلْتُ إليها في هذا البحثِ.

وبعد:

فهذا عَمَلٌ متواضعٌ بذلتُ فيه قُصارَى جهدي، وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلتُ وإليه أنيب. وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي، ميشيل فوكو، ت: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط:١، ٢٠٠٦م.
- الحجاج في قصص الأمثال القديمة، عادل الغامدي، كنوز المعرفة، عمَّان، ط:١، ٢٠١٥م.
- حدود السرد: جيرار جينيت، ترجمة: بنعيسى بوحمالة، ضمن كتاب طرائف تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، سلسلة ملفات، الرباط، ط:١، ٢٠١٢م.
- الحوار واستراتيجياته في السرد العربي المعاصر، لطفي زكري، رواية التسعينات بتونس، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط:١، ٢٠١٩م
- خطاب الجنون في الثقافة العربية، محمد حيَّان السمان، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط:١، ١٩٩٣م.
- خطاب الجنون، حفريات في الثقافة العربية، مراد المتيوي، كنوز المعرفة، الأردن، ط:١، ٢٠١٩م.
- خطاب الجنون الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي (الاستبعاد والنفي) ، أحمد آل مريع، العبيكان، السعودية، الرياض، ط:١، ٢٠١٤م.
- الخطاب القصصي في مصارع العشاق، للسراج البغدادي، تحقيق: أصيل الشابي، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط:١، ٢٠٢١م
- الضحك في الأدب الأندلسي، أحمد الشايب، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط:١، ٢٠١١م.
- طرائق تحليل القصة، الصادق قسومة، دار الجنوب، تونس، ط:٢، ٢٠١٥م.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٨٢م.

- عقلاء المجانين، محمد بن الحسن النيسابوري، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١ ، ١٩٨٥م.
- العقل وفضله، أبو بكر بن أبي الدنيا، تحقيق: لطفي محمد الصغير، ونجم عبد الرحمن خلف، دار الراية، السعودية، الرياض، ط:١، ١٩٨٩م.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:١، ١٩٢٥م.
- في نظرية الحجاج، عبد الله صولة، دار مسكلياني للنشر والتوزيع، تونس، ط:١، ٢٠١١م.
- قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وآراء أعاظم الفلسفة في العالم، ديورانت ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، لبنان، بيروت، ط:١، ٢٠٠٤م.
- لسان العرب، ابن منظور، ذيل حواشيه اليازجي، دار صادر، بيروت، ط:٣، ١٩٩٤م.
- مروج الذهب، المسعودي، ت: محمد محي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د،ط.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، لبنان، بيروت، ط:١، ١٩٧٩م.
- مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، المجلس الأعلى للثقافة، المطبعة الأميرية، ط:،١، ٢٠٠٠م
- مقدمات دليل الدراسات الأسلوبية، جوزيف ميشال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط:٢، ١٩٨٧م.
- معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي، تونس، ط:١، ٢٠١٠م.

- المرجعي والتخييلي في الكتابة التاريخية حتى مطلع القرن الخامس الهجري "مقاربة سردية تداولية" ، قالط حجي العنزي، كنوز المعرفة، عمَّان، ط:١، ٢٠٢٣م.
- ممارسات في النقد، عبد العزيز عرفة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط:١، ١٩٩٣م.
- موجز تاريخ الجنون، روي بورتر، ت: ناصر مصطفى، هيئة أبو ظبي، للثقافة والتراث، ط:١، ٢٠١٢م.
- نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، أمجد الطرابلسي، دار قرطبة، البيضاء، ط:٥، ١٩٨٦م.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٢٧٩
٢-	Abstract	٢٨٠
٣-	المقدمة	٢٨١
٤-	التمهيد: المصطلح، إشكاليات وملابسات:	٢٨٣
٥-	خطاب الجنون بين كتب الأدب السابقة وكتاب عقلاء المجانين:	٢٨٥
٦-	المبحث الأول: خطاب الجنون وأبعاده الدلالية في كتاب عقلاء المجانين	٢٨٨
٧-	المبحث الثاني: أساليب القص في كتاب عقلاء المجانين	٢٩٤
٨-	الخاتمة	٣٠٤
٩-	ثبت المصادر والمراجع	٣٠٥
١٠-	فهرس الموضوعات	٣٠٨